# مفهوم الرقائق وأهدافها
# وأثرها في بناء حقائق الإيمان
## دراسة في مقامات الإحسان

إعداد

**د. أحمد عبد القادر الرفاعي**

أستاذ العقيدة ومناهج البحث العلمي

كلية الإمام مالك للشريعة والقانون - دبي

# مفهوم الرقائق وأهدافها وأثرها في بناء حقائق الإيمان
## دراسة في مقامات الإحسان

**أحمد عبد القادر الرفاعي**

**أستاذ العقيدة ومناهج البحث العلمي ، كلية الإمام مالك للشريعة والقانون – دبي**

**البريد الالكتروني: a.alrifai@imc.gov.ae**

**الملخص البحث:**

إن إيمان المؤمن يتجلى في نيله درجات إيمانية متصاعدة حتى يبلغ في أعلى سلمها مرتبة تذوق حلاوة الإيمان وإدراك حقيقته، التي هي مقام الإحسان، ودون بلوغ العبد المؤمن هذه الحقيقة وتذوقه لحلاوتها، مجاهدات قلبية وفكرية وعملية كثيرة ينهض بها في هذه الحياة، يَرِّق معها قلبه، وتصفو بها نفسه، ويترقَّى معها إيمانه، حيث تنعكس هذه المجاهدات في صور مقامات ومنازل في السير إلى الله تعالى،

تبدأ بمقامي المشاهدة والرجاء، وتنهي بمقامي الأنس واللذة، من وجه ومرتبة في سلوك السائر إلى الله تعالى، أو تبدأ بمقامي المراقبة والخوف، وتنتهي بمقامي الهيبة والفناء، من وجه ومرتبة أخرى في السير إلى الله تعالى.

وأَوْلَى منازل السير إلى الله تعالى ومراتبها، هو أن يجمع العبد السائر إلى الله تعالى في سيره إليه ابتداءً بين مقامي المشاهدة والمراقبة، اللذين يأخذانه للجمع بين مقامي الرجاء والخوف، وبعدهما للجمع بين مقامي البسط والقبض، ومن ثم الجمع بين مقامي الأنس والهيبة، ليصل إلى الله تعالى في آخر محطات سيره إليه جامعاً بين مقامي اللذة والفناء، فيدرك في اللذة توحيد شهود نِعَمِ الله تعالى ومننه، ويدرك في الفناء توحيد شهود المُنْعِم سبحانه، فيبلغ بهما مرتبة تذوق حقيقة الإيمان.

**الكلمات المفتاحية:** الرقائق ، حقائق الإيمان ، الإحسان ، مقامات السير إلى الله ، منازل السائرين إلى الله ، الزهد ، الورع ، الخشية.

# The Concept, Objectives, and Impact of Al- Raqaiq in Building the Realities of Faith

**Ahmed Abdelkader El-Rifai**

**Professor of Doctrine and Scientific Research Curricula, Imam Malik School of Sharia Law - Dubai**

**Email: a.alrifai@imc.gov.ae**

**Abstract:**

The belief of the believer is manifested in his attainment of heightened degrees of faith so that at its highest point that is the position of tasting the sweetness of faith and realizing its truth.

It is called "Maqam Al- Ehsan" as while believer reach such fact and taste its sweetness, there is intellectual and practical stress in this life, His heart and his soul may be more kind with it, and his faith also may be improved with it. These efforts are reflected in the images of mode and positions in the way to Allah Almighty.

It begins with the positions of watching and hope, it is ended with the positions of forgetfulness and pleasure, from the face and rank of the behavior of the Prophet of Allah Almighty, or begins with the positions of observation and fear, and ends with the positions of prestige and mortality, from one side. It is another position of walking to Allah Almighty.

The first way to walk to Allah Almighty and is to bring together the man who walks to Allah Almighty in his way to Him, beginning with the positions of watching and observing, which they take to combine the positions of hope and fear, and beyond them to combine the positions of enlarging and holding.

**Keywords:** Al- Raqaieq, Facts of Faith, Al- Ihsan, Gambles to God, Positions of Walkers to God, Renunciation, Fear, Discouragement.

## مقدمة:

العلاقة بين الرقائق والإيمان والإحسان وثيقة، فهي تُسهم في تقوية إيمان المؤمن وترقيته في مراتب الإحسان، لما في الرقائق من الفكر والذكر والخوف والخشية من الله تعالى، وشهود تجليات أسمائه وصفاته في عوالم الخلق، بالتدبير والتأثير، إلى جانب الزهد والورع وقصر الأمل، فالإيمان متصل بمنزلة الإحسان، التي تتجلى في مقامات أن تعبد الله كأنك تراه، ومقامات فإن لم تكن تراه فإنه يراك، حيث بيَّن حديث جبريل عليه السلام مقامات الدين كلها المتمثلة في الإسلام والإيمان والإحسان، وأن أعلاها وأرقاها هو مقام الإحسان، وتحقيقه هو أن يفنى العبد المؤمن بحبه لله تعالى، والخوف منه، ويأنس برجائه والتوكل عليه، وعبادته، والتبتل إليه، والخشوع له، والتضرع إليه، فيدرك بذلك مرتبة الإحسان، وليس فوق هذا المقام مقام آخر يُطلب من المؤمن[1].

ولذلك وجدت من المفيد تسليط الضوء على موضوع بهذه الأهمية وإبراز دور الرقائق في بناء حقائق الإيمان والإحسان في قلب المؤمن.

## إشكالية البحث:

نَجِدُ العلماءَ المسلمين في السابق من المهتمين بكتابة رسائلهم في الرقائق والزهد والورع والبكاء وقصر الأمل، لإعطاء الإيمان في قلوب المؤمنين بُعدا روحيا يقرِّبهم من بلوغ حقيقته، ويزهدهم في الدنيا وفي الركون إلى زخرفها وزينتها الفانية، نجدهم يسطرون كتاباتهم في هذا الموضوع على منهج سرد النصوص القرآنية والحديثية، ووقائع العارفين السائرين إلى الله تعالى، الداعية إلى الزهد والورع والخشية والتقلل من الدنيا، وربطها بحقائق

١ – ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ص (٣٠٨).

الإيمان، دون ربطها بمقامات الإحسان الذي هو مقام ترقٍّ في الإيمان، وإظهار دور هذه المقامات في تعزيز رقة القلب، التي بدورها تعزز مسالك الرقائق في حياة العبد المحسن من الزهد والورع والخشية والبكاء، خلال سيره الحثيث إلى الله تعالى، وبلوغه محبته ونيل مرضاته.

كما أن من كَتب من العلماء العارفين السابقين في الرقائق وفي منازل السير إلى الله تعالى، لم يفرِّع هذه المنازل على مقام الإحسان تفريعا منهجيا.

## أهداف البحث:

ولأجل ذلك فإن هذه الدراسة تهدف إلى تقديم صورة لدور الرقائق في بناء حقائق الإيمان ودورها في بلوغ العبد المؤمن مقامات الإحسان، وفي ترقية منازل سيره إلى الله تعالى، كما تهدف إلى بسط صور ومظاهر هذه الرقائق في مقامات الإحسان المختلفة وترقي العبد المحسن في منازلها.

## الدراسات السابقة:

كثيرة هي الدراسات التي تتحدث عن سلوك التعبد والتنسك والزهد والورع، وهي سابقة في ظهورها لكثير من العلوم، حيث شهدت زخما من الكتابة والتأليف على يد عدد من كبار علماء السلف في القرنين الثاني والثالث الهجريين، أمثال الأئمة الكبار: عبد الله بن المبارك، وأحمد بن حنبل، وصولا إلى ابن أبي الدنيا، ثم نجد بعدهم بنحو قرنين من الزمن وفي ثنايا القرن الخامس الهجري، من يكتب في مقامات السير إلى الله ومنازله، ويفصل في هذه المقامات، أمثال: أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (٤٦٥هـ)، في كتابه (الرسالة القشيرية)، وأبي إسماعيل عبد الله الأنصاري الهروي (٤٨١هـ)، في كتابه (منازل السائرين)، وصولا إلى ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر (٧٥١هـ)، في سفره الضخم (مدارج السالكين في منازل

إياك نعبد وإياك نستعين)، إلا أن أيا من هؤلاء الأئمة لم ينطلق في تفريع هذه المقامات وبسط هذه النازل من مقام الإحسان الذي هو مقام إيماني نبوي، وهو ما سنحاول عرضه في هذا البحث.

**منهج الدراسة:**

المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي الذي يعتمد على التحليل والاستقراء بعرض النصوص والآراء المصاغة بشأنها، ومن ثم البناء عليها وتأصيل مقامات ومنازل السير إلى الله في ضوئها، وتوضيح أن ما كتبه علماء السلوك والتزكية إنما يخرج من مشكاة النبوة.

## خطة البحث:

**التمهيد:**

**المبحث الأول:** في مقامات الإحسان مقامات أن تعبد الله كأنك تراه

**المطلب الأول:** مقام المشاهدة

**المطلب الثاني:** مقام الرجاء

**المطلب الثالث:** مقام البسط

**المطلب الرابع:** مقام الأنس

**المطلب الخامس:** مقام اللذة

**المبحث الثاني:** في مقامات الإحسان مقامات فإن لم تكن تراه فإنه يراك

**المطلب الأول:** مقام المراقبة

**المطلب الثاني:** مقام الخوف والخشية

**المطلب الثالث:** مقام القبض

**المطلب الرابع:** مقام الهيبة والإجلال

**المطلب الخامس:** مقام الفناء

**المبحث الثالث:** في الجمع بين مقامات الإحسان

**المطلب الأول:** في الجمع بين مقامي المشاهدة والمراقبة

**المطلب الثاني:** في الجمع بين مقامي الرجاء والخوف

**المطلب الثالث:** في الجمع بين مقامي البسط والقبض

**المطلب الرابع:** في الجمع بين مقامي الأنس والهيبة

**المطلب الخامس:** في الجمع بين مقامي اللذة والفناء

# التمهيد

**مفهوم الرقائق في اللغة:** الرقائق جمع رقيقة، ولقد سميت النُّصوص التي يذكرها العلماءُ في هذا الباب بالرقائق لأنَّ كلا منها يحتوي على ما يُحدِث في القلب رقةً، قال أهل اللغة: إن الرقَّة هي الرحمة ضدُّ الغِلَظة، ويُقال لمن هو كثيرِ الحياء: إنه قد رَقَّ وجهُه استحياءً، وقال الراغب: إنه متى كانَت الرقَّة موجودة بجسم يكون ضدها الصفاقة، ومتى وجدت بنفس يكون ضدها القسوة والفجوة[١].

وفي المعجم اللغوي: (رقيق): اسم، وجمعه: (أرِقَّاء)، ومؤنثه: (رقيقة)، وجمع مؤنثه: (رقيقات، ورقائق)، والرقيق: هو الشخص الدقيق اللطيف، ورجل رقيق الحواشي: لطيف الصحبة، ورقيق الجانب: لطيف هادئ، ورقيق القلب: رحيم رفيق[٢].

**مفهوم الرقائق في الاصطلاح:** ولا يبعد مفهوم الرقائق في الاصطلاح عن الدلالة اللغوية السابقة، إذ هي علم، أو خطابٌ سلوكي إيماني، قائم على توجيه آيات القرآن الكريم، ووقائع السنة النبوية المطهرة، ومواعظ وقصص العلماء الربانيين العارفين، في رسم طريق الوصول إلى الله تعالى، والتعمق في حقائق الإيمان، وتهذيب النفس، مع الزهد في الدنيا والتقلل منها، واستذكار الموت ولقاء الله تعالى في الآخرة، فالرقائق هي: جملة المواعظ التي ترقق القلوب، وتهذب النفوس، فتزهدها في الدنيا وترغبها في الآخرة[٣].

---

١ – تعريف علم الرقائق، almalomat.com/210801.

٢ – معجم المعاني الجامع، معنى الرقائق، kingmaajim.com/108706

٣ – الجمهرة معلمة مفردات المحتوى الإسلامي، مصطلح (الرقائق)، islamic-content.com/dictionary/word/5272

**حقائق الإيمان:** وتتجلى حقائق الإيمان في مراتبه التصاعدية التي أقلها مرتبة تلك التي تفيد العلم اليقيني القائم على الاستدلال النظري، في سياق منهج الاستدلال بالخَلْقِ على الحقِّ سبحانه، وهو منهج قرآني خالص، قال تعالى: "**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيَّن لهم أنه الحق**" (فصلت/٥٣)، قال القرطبي في تفسيره: "وقال عطاء وابن زيد في الآفاق: يعني: أقطار السموات والأرض، من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والأمطار والرعد والبرق والصواعق والنبات والأشجار والجبال والبحار وغيرها، وفي الصحاح: الآفاق: النواحي، وفي أنفسهم: أي: من لطيف الصنعة، وبديع الحكمة، حتى السبيل والغائط، ... وفي عينيه اللتين هما قطرة ماء ينظر بهما من السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام، وفي أذنيه اللتين يفرِّق بهما بين الأصوات المختلفة، وغير ذلك من بديع حكمة الله فيه، وقيل: في أنفسهم من كونهم نطفا إلى غير ذلك من انتقال أحوالهم، ... وقوله تعالى:﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ ، فيه أربعة أوجه: أحدها: أنه القرآن، الثاني: الإسلام جاءهم به الرسول ودعاهم إليه، الثالث: أن ما يريهم الله ويفعل من ذلك هو الحق، الرابع: أن محمدا ﷺ هو الرسول الحق"[١] والقول الثالث: على معنى: حتى يتبيَّن لهم أن الله تعالى هو الحق، أنسب لسياق الآية الكريمة، فقد ختمت بقوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ .

ثم يحصل الترقي الإيماني في قلب المؤمن من خلال مراتب الإحسان، التي تتجلى في مقامي المشاهدة والمراقبة، اللذين يفيدان الحضور

١- القرطبي، أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، سورة فصلت، تفسير قوله تعالى: "سنريهم آياتنا في الآفاق".

اليقيني للقلب مع الله تعالى، كما في حديث جبريل عليه السلام، حين سأل النبي ﷺ بقوله: يا محمد ما الإحسان؟ قال: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[1]، فتحصل عندها رؤية القلب عين حقائق الإيمان، في مقام الإيمان الحق، الذي يمتلئ معه قلب المؤمن ويفيض بمعاني الخشية لله تعالى، والأنس به، مع الوجل منه، والانكسار له، فيحيا بالله، ويعيش معه، وينظر بنوره، ويستجيب لطاعته، ويلزم بابه، ولا يرضى إلا هو، ولا يسعد ولا يحتمي بسواه، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ ﴾ (الأنفال/٢-٤).

قال ابن كثير في تفسيره: "أي: المتصفون بهذه الصفات هم المؤمنون حق الإيمان"، ثم أورد حديث الصحابي الحارث بن مالك الأنصاري رضي الله عنه، الذي أخرجه أبو القاسم الطبراني في المعجم الكبير، أن الحارث مرَّ برسول الله ﷺ، فقال له: "كيف أصبحت يا حارث؟"، قال: أصبحت مؤمنا حقا، قال: "انظر ما تقول، فإن لكل شيء حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟"، قال: عزفت نفسي عن الدنيا، وأسهرت لذلك ليلي، وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزا، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها، فقال: "يا حارث، عرفت فالزم"، قالها ثلاثا[2]، وأورد بعده قول عمرو بن مرة في تفسير الآية: "إنما أنزل القرآن بلسان العرب، وهو كقولك: فلان سيد حقا، وفي القوم سادة، وفلان

١ – مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله، حديث رقم (٨).

٢ – الطبراني، أبو القاسم، المعجم الكبير، حديث رقم (٣٢٩١).

تاجر حقا، وفي القوم تجار، وفلان شاعر حقا، وفي القوم شعراء"[١]، يشير بذلك إلى مقام الترقي الذي يحصل في هذه الأصناف من الناس، كالترقي الذي يحصل في صنف المؤمنين، عندما يشاهدون حقائق الإيمان بأعين قلوبهم، ويحدقون النظر فيها، ويلتزمون بابها، في مقامات الإحسان، فهم المؤمنون حقا، وفي الناس مؤمنون.

**أهداف دراسة الرقائق:** وقد هدف العلماء الذين كتبوا في الرقائق وألحقوا بها موضوع الزهد والورع، إلى تحقيق الآتي:

١- تزكية النفس المؤمنة، بتحقيقها مراقبة الله تعالى والخشية منه.

٢- التقلل من شهوات الدنيا وملذاتها، واستذكار الآخرة، مع قصر الأمل، وبذل العطاء.

٣- العمل بطاعة الله تعالى للفوز بمحبته والقرب منه وبلوغ مرضاته.

٤- تحقيق الورع باجتناب الشبهات وما في حكمه لَبْس، على قاعدة أن المرء لا يبلغ مرتبة التقوى حتى يدع شيئا من الحلال خشية من الوقوع بشيء من الحرام.

٥- إدامة ذكر الله وتسبيحه وحمده وتعظيمه، باللسان، واستحضاره الكلي بالجَنَان.

**الكتابات في موضوع الرقائق:** ومع كون موضوع الزهد والرقائق وصلته ببناء حقائق الإيمان في النفس، موضوعا قرآنيا نبويا صرفا، حيث أقام القرآن أصوله، ورسمت السنة النبوية منهجه، إلا أن الكتابات العلمية

١ – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، سورة الأنفال، تفسير قوله تعالى: "إنما المؤمنون حقا".

فيه قد ظهرت مبكرا، وعلى يد كبار أئمة السلف ومن أتى بعدهم، ويمكننا إجمال أهمها بالآتي:

- كتاب الزهد والرقائق، لعبد الله بن المبارك (١٨١هـ)
- كتاب الزهد، لوكيع بن الجراح (١٩٧هـ)
- كتاب الزهد، للإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)
- كتاب الزهد، لأبي بكر بن أبي الدنيا القرشي (٢٨١هـ)
- كتاب الورع، لأبي بكر بن أبي الدنيا القرشي (٢٨١هـ)
- كتاب ذم الدنيا، لأبي بكر بن أبي الدنيا القرشي (٢٨١هـ)
- كتاب محاسبة النفس، لأبي بكر بن أبي الدنيا القرشي (٢٨١هـ)
- كتاب الرقة والبكاء، لأبي بكر بن أبي الدنيا القرشي (٢٨١هـ)
- كتاب الرقة والبكاء، موفق الدين ابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ)

## المبحث الأول: في مقامات الإحسان مقامات أن تعبد الله كأنك تراه

وسنجمل الحديث في هذه المقامات من خلال خمسة مطالب.

### المطلب الأول: مقام المشاهدة

وهو مقام إحساني، عبَّر عنه النبي ﷺ، كما في حديث جبريل عليه السلام المتقدم، حين طلب من النبي ﷺ إخباره عن الإحسان، فقال: "أن تعبد الله كأنك تراه"، وهي رؤية قلبية لتجليات أسماء الله الحسنى في كل تفاصيل الحياة ودقائقها، واستحضار روحي لمشاهد الآخرة ولقاء الله تعالى تخترق حُجب المادة، قال أحمد بن عجيبة (١٢٢٤هـ): "وإذا رحل القلب من موطن شهوته، وتطهر من لوث غفلاته، وصل إلى حضرة ربه، وتنعَّم بشهود قربه، ... والمعنى: تطهر من شهود نفسك بماء الغيبة عنها بشهود ربك، وتطهر من شهود عالم الشهادة بماء شهود عالم الغيب، وتطهر من شهود السوى بماء العلم بالله، فإنه يغيب عنك كل ما سواه، وإذا تطهرت من شهود السوى، تطهرت من العيوب كلها، ... وعندها يدخل القلب في حضرة القُدْس، وإذا دخل حضرة القُدْس، أدرك محلَّ الأنس، وأعطي فهْمَ دقائق الأسرار، ومُلئ بالمواهب والأنوار، ... فعن أحمد بن أبي الحواري (٢٣٠هـ)، قال: سمعت شيخي أبا سليمان عبد الرحمن بن عطية الداراني (٢١٥هـ)، يقول: إذا اعتادت النفوس ترك الآثام، جالت في الملكوت، ورجعت إلى صاحبها بطرائف الحكمة، من غير أن يؤدي إليها عالمٌ علماً، قال أحمد بن حنبل (٢٤١هـ): صدقت يا أحمد، وصدق شيخك، ما سمعت في الإسلام بحكاية أعجب إليَّ من ذلك، من عمل بما عَلِم أورثه الله علم ما لم يعلم"[١].

١ – ابن عجيبة، أحمد بن محمد الحسني، إيقاظ الهمم في شرح الحِكم، ص (٦٦–٧١).

وإنما تتعمق رحلة الشهود في النفس المؤمنة بحفظها حدود الله والكفِّ عن حرُماته، وتوحيدها الخالص في إيقانها بتجليات أسماء الله وصفاته، واعتقاد تأثيرها المطلق في عوالم الخلق، في مقامات التقابل، من كون الحق تعالى: معطيا مانعا، ورافعا خافضا، ومعزا مذلا، ومقدما مؤخرا، وهاديا مضلا، ومحييا مميتا، وباسطا قابضا، وهكذا ...، حيث لا تكون ذرة من ذرات هذه العوالم إلا وهي انعكاس في ظهورها لتجلي اسم من أسماء الحق سبحانه، يقول أحمد بن عجيبة: "وفهم غوامض التوحيد لا يكون إلا بقلب فريد، فمن لم يتب من هفواته، ويتحرر من رق شهواته، فلا يطمع في غوامض التوحيد، ولا يذوق أسرار أهل التفريد"[1]، وهو منهج ربَّى النبي ﷺ صحابته عليه منذ نعومة أظفارهم، قال عبد الله بن عباس: كنت خلف النبي ﷺ يوما، فقال: "يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجَفَّت الصحف"[2]، حيث في مقام تقابل الأسماء الحسنى، فإن الله تعالى هو النافع الضار، قال تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الأنعام/١٧).

يقول عبد الله الأنصاري الهروي (٤٨١هـ) في كتابه منازل السائرين: "المشاهدة سقوط الحجاب بتَّاً، وهي فوق المكاشفة"[3]، يقول ابن قيم الجوزية

١ – المصدر السابق.

٢ – الترمذي، السنن، حديث رقم: (٢٥١٦).

٣ – الهروي، عبد الله الأنصاري، منازل السائرين، ص (١١٥).

(٧٥١هـ)، في كتابه مدارج السالكين معقبا على كلام الهروي: "وهذا الكلام يدلُّك على أن مراد الشيخ ومن وافقه من أهل الاستقامة، بالمكاشفة والمشاهدة، قوة اليقين ومزيد العلم وارتفاع الحُجب المانعة من ذلك ... وإنما كانت المشاهدة عنده فوق المكاشفة ... لأن المكاشفة تتعلق بالصفات الإلهية – أي: برؤية تجلياتها في العوالم بالتأثير – وأما المشاهدة وما يتعلق بها فهو نفس الذات الإلهية الجامعة للنعوت والصفات، فلذلك كانت فوقها وأكمل منها، والفرق بين ولاية النعت، وولاية العين والذات، أن النعت صفة، ومن شاهد الصفة، فلا بُدَّ أن يشاهد متعلقاتها، فإن النظر في متعلقاتها يكسبه التعظيم للمتصف بها، فإن من شاهد العلم القديم الأزلي متعلقا بسائر المعلومات التي لا تتناهى ... ومن شاهد الإرادة الموجبة لسائر الإرادات على تنوعها ... وشاهد القدرة التي هي كذلك، وشاهد صفة الكلام الذي لو أن البحر يمده من بعده سبعة أبحر، وأشجار العالم كلها أقلام يكتب بها كلام الرب جلَّ جلاله، لفنيت البحار، ونفدت الأقلام، وكلام الله عز وجلَّ لا ينفد ولا يفنى، فمن شاهد الصفات بتجلياتها، وجال قلبه في عظمتها، فهو مشغول بالصفات، ومتفرق قلبه في متعلقاتها بالإيجاد والتأثير والتدبير في عوالم الخَلْق، وأما من قَصَر نظره على الذات، وشاهد بقلبه قِدمها وبقاءها، واستغرق قلبه في عظمة تلك الذات، فهو مشاهد للعَيْن، والأول مشاهد للصفات ... وبهذا يُعلم أن مُراد الشيخ وأمثاله من العارفين أن لا يُقصر نظر القلب على تجليات صفة من الصفات، بحيث يستغرق فيها وحدها، بل يكون التفاته ومكاشفته وشهوده واقعا على الذات الموصوفة بصفات الكمال،

المنعوتة بنعوت الجلال، فحينئذ يكون شهوده واقعا على الذات والصفات جميعا"[1].

وفي تحقيق مقام المكاشفة في قلب المؤمن يأتي قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف/١٨٠)، وقول نبيه ﷺ: "إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة"[2]، فإحصاء الأسماء الحسنى، والإيمان بتجليها بالتأثير، وعدم الإلحاد بها، إنما يكون في ثلاثة مسالك:

**المسلك الأول:** تحقيق معانيها في قلب المؤمن، بأن يقف على معنى كل اسم منها، والفروق الدقيقة بينها، واشتمالها على معاني الكمال والجمال والإحسان والجلال، وأنها في معانيها وتجلياتها مطلقة، ليس فيها شيء من التقييد، فلا يفوق معناها معنى، ولا يتقدم تأثيرها تأثير، بدلالة قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (الأنعام/١٨)، وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ (فاطر/٤٤)، وقوله: ﴿ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۗ ﴾ (غافر/١٦)، وقوله: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (التكوير/٢٩)، حيث إن الربوبية مقام إطلاق.

**المسلك الثاني:** تعلق قلب المؤمن بها بعد تحقيقه معانيها، بدعاء الله تعالى وسؤاله بها، "فادعوه بها"، "إذا سألت فسأل الله"، وتسبيحه وتحميده بها، "يسبح لله ما السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم" (الجمعة/١).

---

١ – ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ص (٦٦٧-٦٦٩).

٢ – البخاري، الصحيح، من حديث أبي هريرة، حديث رقم (٢٧٣٦).

**المسلك الثالث:** تخلُّق المؤمن بها، والتأدب بآدابها، في حدود ما أذن الله به من تجليات أسماء الجمال والكمال والإحسان، دون تجليات أسماء الجلال، التي خصَّ الحق سبحانه بها نفسه، فقد مدح الله تعالى نبيه بقوله: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ **(التوبة/١٢٨)**، وقال عليه الصلاة والسلام: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء"[١]، وقال: "جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشيةَ أن تصيبه"[٢]، وأما أسماء الجلال التي الخص الله بها نفسه، فقد قال سبحانه بشأنها: "الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما، قذفته في النار"[٣].

أما في تحقيق مقام المشاهدة، الذي هو مقام تعلق بالله تعالى وبأسمائه وصفاته، فيأتي توَجُّه قلب المؤمن بالكلية لمحبة الله تعالى، واستشعاره القرب منه، والأنس به، في مقام قوله تعالى:﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ **(المائدة/٥٤)**، وقوله في الحديث القدسي: "أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ..."[٤]، حيث يرتحل العبد المحسن إلى لقاء محبوبه قلبا وروحا ما حيي في ليل أو نهار، لا يهدأ له بال، ولا ينعم له حال، بعيدا عنه، أو مفارقا للقرب منه، وحيث ذِكْرُ النفسِ للنفسِ، والذاتِ للذاتِ، التي

١ – الترمذي، السنن، من حديث عبد الله بن عمرو، حديث رقم: (١٩٢٤).
٢ – البخاري، الصحيح، من حديث أبي هريرة، حديث رقم: (٦٠٠٠)، ومسلم، الصحيح، حديث رقم: (٢٧٥٢).
٣ – أبو داوود، السنن، من حديث أبي هريرة، حديث رقم: (٤٠٩٠).
٤ – البخاري، الصحيح، من حديث أبي هريرة، حديث رقم: (٧٤٠٥)، ومسلم، الصحيح، حديث رقم: (٢٦٧٥).

معها يبلغ المؤمن درجة الإيمان الحق، ويذوق حلاوته، كما في حال الصحابي الحارث بن مالك الأنصاري رضي الله عنه، الذي عبَّر عنه بقوله: "أصبحت مؤمنا حقا"، وقوله: "وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزا"، وقد سبقت الإشارة إليه، وكما في قوله ﷺ: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، (أولها:) أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .....الحديث"[1].

## المطلب الثاني: مقام الرجاء

ثم إن مقام المشاهدة يأخذ بالعبد المحسن إلى مقام الرجاء، ذلك أنه يرى بقلبه – رؤية بصيرة – جمال جلال نور الله تعالى،﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ (النور/٣٥)، وفي الحديث: "إن الله عزَّ وجلَّ لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، ... حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خَلْقه"[2]، فيشخص ببصيرته شخوص تعظيم وإجلال لإطلاق بهاء جمال الله تعالى، ويتعلق قلبه بحبه، وينفجر استجابة له، ويجهد في كل أوقاته سعيا إليه ونيل مرضاته، فلا يشغله عن هذا الحب حبٌ، ولا عن هذه الاستجابة استجابةٌ، ولا عن هذا السعي سعيٌ، ولا عن رضاه رضى، بل يصبح كل حُبٍّ له، فمن خلاله حبه لله، وكل استجابة وسعي ونيل رضى، فمن خلال صلته بالله، قال عليه الصلاة والسلام في خصال إدراك حلاوة الإيمان: "أن يحبَّ المرءَ لا يُحبُّه إلا لله"[3]، وقال تعالى:﴿ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴾ (البقرة/١٨٦)، وقال تعالى:﴿ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ

---

١ – البخاري، الصحيح، من حديث أنس بن مالك، حديث رقم: (١٦)، ومسلم، الصحيح، حديث رقم: (٤٣).

٢ – مسلم، الصحيح، من حديث أبي موسى الأشعري، حديث رقم: (١٧٩).

٣ – وهو ثاني الخصال لإدراك حلاوة الإيمان، التي ذكرها الحديث المشار إليه في الهامش (١٧).

ٱللَّهِ ﴾ (الجمعة/٩)، وقال تعالى في شأن الصادقين من أهل الإحسان: ﴿ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (المائدة/١١٩).

كما أن مقام المشاهدة في منزلته الثانية (المكاشفة)، يأخذ بالعبد المحسن ليرى بعين رأسه الباصرة تجليات صفات الحق سبحانه وتجليات أسمائه الحسنى بالإنعام والإحسان والعناية والرعاية ومظاهر اللطف الإلهي، فيوحِّدَ شهوده لما يراه من حوله، ويسمعه، ويتلمَّسه، ويتغذى به، ليشهد من خلاله سعة رحمة الله وسعة عطائه، حيث قال الحق سبحانه في دعوته الإنسان لتوحيد شهوده: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ﴾ (النحل/٥٣)، وقال: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ ﴾ (النحل/١٨)، وقال: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (الإسراء/٧٠).

فبتوحيد العبد المحسن شهوده للآفاق من حوله، وشهوده لحسن وكرامة نفسه التي خلقها الله تعالى في أحسن تقويم، يتعمَّق حبُّ الله تعالى في قلب هذا العبد، ويرقى إيمانه في مرتبة عين اليقين، فقد قال عليه الصلاة والسلام: "أحبُّوا الله لما يَغْذوكم من نِعَمِهِ"[١]، حتى يسيطر عليه شهود تجليات رحمة الله، الحاكم في بابها اسم الله (الرحمن) فيغلب في قلبه مقام الرجاء، ويستولي عليه، مستحضرا حقيقة خطاب الحق تعالى الذي كتبه في الذكر قبل أن يخلق الخلق: "إن رحمتي سبقت غضبي"[٢]، وحقيقة قوله تعالى: "**ورحمتي وسعت كل شيء**" (الأعراف/١٥٦)، ثم يرى بين يدي

١ – الترمذي، السنن، من حديث عبد الله بن عباس، حديث رقم: (٣٧٨٩).
٢ – البخاري، الصحيح، من حديث أبي هريرة، حديث رقم: (٧٥٥٤).

تجليات رحمة الله تجليات كرمه، وبين يدي تنزلات اسمه (الرحمن)، تنزلات اسمه (الكريم)، فيفرح قلبه ويسعد ويطمئن بما يغمره من الرجاء، وقد ينتشي حاله، ويطرب لسانه، فيعبر عن استشعاره هذا المقام أبلغ تعبير، كحال الأعرابي الذي قال: يا رسول الله من يحاسب الخلق يوم القيامة؟ قال: "الله"، قال الأعرابي: نجونا ورب الكعبة، قال: "وكيف"؟ قال الأعرابي: لأن الكريم إذا قدر عفا. قال أبو بكر البيهقي (٤٥٧هـ): وفيه محمد بن زكريا الغَلابي (٢٨٠هـ)، وهو متروك[١]، وفي الحديث الصحيح، جاء قول النبي ﷺ: "إن الله حييٌّ كريم، يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردَّهما صفرا خائبتين"[٢].

يقول عبد الله الأنصاري الهروي في درجات مقام الرجاء: "الدرجة الثالثة: رجاء أرباب طيب القلوب، وهو رجاء لقاء الحق عزَّ وجلَّ، الباعث على الاشتياق، المنغِّص للعيش، المزهد في الخلق"[٣]، ويقول ابن عجيبة: "من عرف ربه غاب عن رؤية ذنبه لفنائه عن نفسه بشهود ربه، فإن صدر منه فعل يخالف الحكمة غلب عليه شهود النعمة، قال تعالى:﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الحجر/٤٩)، وأما قوله تعالى:﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ (الحجر/٥٠)، فإنما هو لمن لم يتب، وقد قال رسول الله ﷺ: "لو أذنبتم حتى تبلغ خطاياكم عنان السماء، ثم تبتم لتاب الله عليكم، ولو أن العباد لم يذنبوا لذهب الله بهم، ثم جاء بقوم آخرين يذنبون

١ – العجلوني، إسماعيل بن محمد، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، جـ ٢، ص (١١٠).
٢ – الترمذي، السنن، من حديث سلمان الفارسي، حديث رقم: (٣٥٥٦).
٣ – الهروي، عبد الله الأنصاري، منازل السائرين، ص (٣٤–٣٥).

فيستغفرون، فيغفر لهم، وهو الغفور الرحيم"[١]، وقد قال الله تعالى في حق خُلَّصِ المؤمنين: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (البقرة/٢١٨)، وفي الحديث القدسي، من طريق أنس بن مالك رضي الله عنه، يقول الله تعالى: "يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا، لأتيتك بقرابها مغفرة"[٢].

## المطلب الثالث: مقام البسط

ثم مقام الرجاء يأخذ بالعباد المحسنين إلى مقام البسط، فإذا كان تحقيق مقام الرجاء حاصلا في مثل قوله تعالى: "رضي الله عنهم"، فإن تحقيق مقام البسط حاصلٌ في لسان حال المحسنين الذي هو: "ورضوا عنه"، فتنبسط لهذا الرضى عن الله تعالى سرائرُهم، ويلازمهم مقام البسط في حلِّهم وترحالهم، لا يفتنهم فيه تراكم المِنَن، ولا تمنعهم أو تحجبهم عنه توالي المِحَن، يقول ابن عجيبة: "فإذا فهمتَ أيها العبد عن الله بعد تحققك برحمته ورأفته وكرمه وجوده ونفوذ قدرته وإحاطة علمه، علمت أنك إذا سألته شيئا،

---

١ – ابن عجيبة، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، ص (١٤٣)، وما ذكره ابن عجيبة من قول رسول الله ﷺ، فليس بحديث واحد، وإنما مأخوذ من حديثين: الأول: رواه ابن ماجة في سننه، من طريق أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: "لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء، ثم تبتم لتاب الله عليكم"، حديث رقم: (٤٢٤٨)، والثاني: أخرجه مسلم في صحيحه، من طريق أبي هريرة كذلك، قال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيده، لو لم تذنبوا، لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله، فيغفرُ لهم"، حديث رقم: (٢٧٤٩)، وليس فيه زيادة (وهو الغفور الرحيم).

٢ – النووي، أبو زكريا، رياض الصالحين، تخريج شعيب الأرنؤوط، حديث رقم: (٤٤٢).

أو هممت بشيء، أو احتجت إلى شيء، فمنعك منه، فإنما منعك ذلك رحمة بك وإحسانا إليك، إذ لم يمنعك من بخل، ولا عجز، ولا جهل، ولا غفلة، وإنما ذلك حسنُ نظر إليك، وإتمامٌ لنعمته عليك، لكونه أتمَّ نظرٍ، وأحمدَ عاقبةٍ، فربما دبَّرنا أمرا ظننا أنه لنا فكان علينا، وربما أتت الفوائد من وجوه الشدائد، والشدائد من وجوه الفوائد، وربما كمنت المنن في المحن، والمحن في المنن، وربما انتفعنا على أيدي الأعداء، وأوذينا على أيدي الأحباء، وربما تأتي المسار من حيث المضار، وقد تأتي المضار من حيث المسار"[1].

ثم إن المحسنين يلتزمون في هذا المقام (مقام البسط) باب حمد الله تعالى، بوجهيه:

**الوجه الأول:** المصحوب بالشكر على النعمة.

**الوجه الثاني:** المصحوب بالصبر على البلوى، فقد قال عليه الصلاة والسلام: "عجبا لأمر المؤمن، إن أمْرَه كلَّه له خير، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرا له"[2]، فيرتقي لهذا البسط والرضى عن الله تعالى حالُ المحسنين، وتهبط عليهم رحمات رب العالمين، ويحفُّهم رضوانه، حتى لو أقسموا على الله لأبرَّهم، وإن كانوا من فقراء الناس وضعافهم، كما في الحديث الشريف: "رُبَّ رجلٍ أشعثَ، مدفوعٍ بالأبواب، لو أقسم على الله لأبرَّه"[3]، حيث إنهم يُلهمون الحديث، ويُسَدَّدون الخطى، ويُوفَّقون الرأي.

---

١ – ابن عجيبة، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، ص (٢١٤).

٢ – مسلم، الصحيح، من حديث صهيب الرومي، حديث رقم: (٢٩٩٩).

٣ – المصدر السابق، من حديث أبي هريرة، حديث رقم: (٢٦٢٢).

وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه من خيرة من عبد الله تعالى في هذا المقام، مقام البسط والرضى عن الله تعالى والثقة به، حتى قال النبي ﷺ في شأنه: "لقد كان فيما قبلكم من الأممِ مُحَدَّثون، فإن يَكُ في أمتي أحدٌ، فإنه عمر"[١]، والمُحَدَّثون هم المُلهمون، وتتجلى معاني الثقة بالله تعالى لدى هذا الصحابي الجليل في أبهى صورها، في حديث: أن رسولُ اللهِ ﷺ قال لعمرَ بنِ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ: "يا عمرُ كيفَ بك إذا متَّ، فقاسوا لك ثلاثةَ أذرعٍ وشبرًا في ذراعٍ وشبرٍ، ثم رجعوا إليك وغسَّلوكَ وكفَّنوك وحنَّطوك، ثم احتملوك حتى يضعوكَ فيه، ثم يُهيلوا عليك الترابَ، فإذا انصرفوا عنك أتاك فتَّانا القبرِ، منكرٌ ونكيرٌ، أصواتُهما كالرعدِ القاصفِ، وأبصارُهما كالبرقِ الخاطفِ، فتلتلاكَ وثرثراكَ وهوَّلاكَ، فكيفَ بك عِندَ ذلك يا عمرُ؟" قال: يا رسولَ اللهِ، ومعي عَقْلي؟ قال: "نعم" قال: إذن أَكْفِيكَهما الحَجَر[٢]، يعني: أضربهما به.

**المطلب الرابع: مقام الأنس بالله تعالى**

وهو ثمرة لسلوك العبد المحسن واجتهاده في تحقيق المقامات السابقة، من إدامة المشاهدة، والرجاء، والثقة بالله، والرضى عنه، والانبساط لأمره، والاستجابة له، فما يزال المؤمن يجتهد في لزوم هذه المسالك حتى تأتيه الطمأنينة من الله تعالى، ويلقي عليه أمنه، ومحبته، وتأييده، وتوفيقه، قال

١ – البخاري، الصحيح، من حديث أبي هريرة، حديث رقم: (٣٦٨٩)، ومسلم، الصحيح، من حديث عائشة، حديث رقم: (٢٣٩٨).

٢ – روى الحديث من وجه صحيح مرسلا عن عطاء بن يسار، أبو بكر البيهقي، في كتابه (الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد)، ص (١٤٩)، وقال الحافظ العراقي، في كتابه (تخريج أحاديث إحياء علوم الدين): أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب (القبور) هكذا مرسلا، ورجاله ثقات، (جـ٤، ص ٢٢٣)، كما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه مرسلا من طريق عمرو بن دينار، حديث رقم: (٦٧٣٨).

تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ (الرعد/٢٨)، وقال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ ﴾ (يونس/٦٢-٦٤)، فالبشرى تنهال عليهم في الحياة الدنيا محبة ورعاية وعناية وحفظا وإلهاما، وفي الآخرة تنهال عليهم قربا وقبولا وإثابة وتكريما.

وكيف لا ينالون هذا المقام الرفيع، وقد أدخلهم الله في كنفه، واصطفاهم لنفسه، وأحاطهم بحمايته، وأيدهم بتأييده، فقال جلَّ وعزَّ في حديث قدسه: "من عاد لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّهُ، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت، وأنا أكره مَساءتَه"[1]، فيغدو حال هذا العبد المحسن المؤيد في جوارحه من الحق سبحانه، لا يسمع إلا ذكرا وتسبيحا، ولا ينصت إلا لعلم أو فهم، ولا يشهد إلا قربة أو صلة، ولا ينهض إلا بخير، ولا يسعى إلا لبِرّ، ثم تجده في كل حركاته وسكاناته مؤيدا مسددا، قد وضع الله له القبول في الأرض، وأتمَّ به النفع، وسال من بين يديه الخير والرشاد، ففي الحديث: "إذا أحبَّ الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلانا فأحبَّه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا، فأحبوه، فيحبه

١ – البخاري، الصحيح، من حديث أبي هريرة، حديث رقم: (٦٥٠٢).

أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض"[١]، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران/١٣٤).

يقول أبو نصر عبد الله الطوسي (٣٧٨هـ)، في كتابه (اللمع): "معنى الأنس بالله الاعتماد عليه والسكون إليه والاستعانة به"[٢]، ومن شواهده ما روي أن مطرف بن عبد الله كتب إلى عمر بن عبد العزيز: "ليكن أنسك بالله وانقطاعك إليه، فإن لله تعالى عبادًا استأنسوا بالله فكانوا في وحدتهم أشد استئناسًا من الناس في كثرتهم، وأوحش ما يكون الناس آنس ما يكونون، وآنس ما يكون الناس أوحش ما يكونون"[٣].

ويقول سهل بن عبد الله التستري (٢٨٣هـ): "أول الأنس من العبد أن تأنس النفس والجوارح بالعقل، ثم أن يأنس العقل والنفس بعلم الشرع، ومن ثم أن يأنس العقل والنفس والجوارح بالعمل لله خالصًا فيأنس العبد بالله، أي يسكن إليه"[٤].

ويقول ذو النون ثوبان بن إبراهيم المصري (٢٤٥هـ) – وقد قيل له: ما علامة الأنس بالله؟ – فقال: "إذا رأيته يؤنسك بخلقه فإنه هو ذا يوحشك من نفسه، وإذا رأيته يوحشك من خلقه فهو ذا يؤنسك بنفسه"[٥].

---

١ – المصدر السابق، من حديث أبي هريرة، حديث رقم: (٦٠٤٠)، ومسلم، الصحيح، حديث رقم: (٢٦٣٧).

٢ – الطوسي، أبو نصر عبد الله السَّراج، اللمع، ص (٦٤).

٣ – المصدر السابق، ص (٥٦).

٤ – المصدر السابق.

٥ – المصدر السابق.

**المطلب الخامس: مقام اللذة بالله تعالى**

ومقام اللذة بالله تعالى هو ثمرة لمحبته التي سبيلها الأنس به سبحانه وحده، وفي هذا المقام لم يعد العبد المحسن السائر إلى الله تعالى يدرك في هذه الحياة لذة إلا بقربه من الله سبحانه، ومناجاته له، والشوق إليه، وشخوصه بعين بصيرته لجمال بهاء نوره، "الله نور السموات والأرض" **(النور/٣٥)**، فينقطع عن كل ما سواه، وتمتلأ نفسه إشراقا بالقرب من حضرة قدس مولاه، حتى لا يعدل بهذه اللذة لذة، ولو عرضت عليه لذات الدنيا وجمعت له من أقطارها، فقد تقدم أمير البصرة لخطبة العارفة التقية رابعة العدوية (١٨٠هـ)، على مائة ألف وقال: لي غلة عشرة آلاف في كل شهر أدفعها إليك، فكتبت إليه: ما يسرني أنك لي عبد، وأن كل ما تملكه لي، وأنك شغلتني عن الله طرفة عين[١]، وكيف لهذه العابدة أن تقبل وقد استولت محبتها لله تعالى على قلبها، وملأت روحها ونفسها، وقالت في هذا الحب: ما عبدت الله خوفًا من الله فأكون كالأمة السوء إن خافت عملت، ولا حبًا للجنة فأكون كأمة السوء إن أعطيت عملت، ولكني عبدته حبًا له وشوقًا إليه[٢].

وفي أبيات لها مشهورة تقول:

**أحبك حبين حب الهوى ... وحبًا لأنك أهل لذاكا**
**فأما الذي هو حبُّ الهوى ... فشغلي بذكرك عمن سواكا**
**وأما الذي أنت أهل له ... فكشفك للحجب حتى أراكا**
**فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ... ولكن لك الحمد في ذا وذاك**

١ – أبو طالب المكي، محمد بن علي الحارثي، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، جـ ٢، ص (٨٤).

٢ – المصدر السابق، جـ ٢، ص (٨٣).

يقول أبو طالب المكي (٣٨٦هـ)، في شرح هذه الأبيات: "إني رأيتك فأحببتك عن مشاهدة عين اليقين، لا عن خبر وسمع وتصديق من طريق النعم والإحسان فتختلف محبتي إذا تغيرت الأفعال لاختلاف ذلك عليّ، ولكن محبتي من طريق العيان فقربت منك، وهربت إليك، واشتغلت بك وانقطعت عمن سواك، وقد كانت لي قبل ذلك أهواء متفرقة، فلما رأيتك اجتمعت كلها فصرت أنت كلية القلب وجملة المحبة فأنسيتني ما سواك، ثم إني مع ذلك لا أستحق على هذا الحب ولا أستأهل أن أنظر إليك في الآخرة على الكشف والعيان في محل الرضوان؛ لأن حبي لك لا يوجب عليك جزاء عليه، بل يوجب علي في كل شيء لك كل شيء مما لا أطيقه، ولا أقوم بحقك فيه أبدًا، إذ كنت قد أحببتك فلزمني خوف التقصير، ووجب علي الحياء من قلة الوفاء، فتفضلت علي بفضل كرمك، وما أنت له أهل من تفضلك، فأريتني وجهك عندك آخرًا كما أريتنيه اليوم عندي أولًا، فلك الحمد على ما تفضلت به في ذا عندي في الدنيا ولك الحمد على ما تفضلت به في ذاك عندي في الآخرة، ولا حمد لي في ذا ههنا ولا حمد لي في ذاك هناك، إذ كنت إنما وصلت إليهما بك، فأنت المحمود فيهما لأنك وصلتني بهما"[١].

ويتصل بحال الحب في مقام اللذة حال الشوق، فقد روى عمار بن ياسر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه: "اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك"[٢]. وقد سئل بعض العارفين عن الشوق فقال: "هيمان القلب عند ذكر المحبوب"، وقال آخر: "الشوق نار

١ – المصدر السابق، جـ ٢، ص (٨٤).

٢ – النسائي، السنن، حديث رقم (١٣٠٥)، وأحمد بن حنبل، المسند، حديث رقم (١٨٣٥١).

الله تعالى أشعلها في قلوب أوليائه حتى يحرق بها ما في قلوبهم من الخواطر والإرادات والعوارض والحاجات".

وأهل الشوق في الشوق على ثلاثة أحوال: فمنهم من اشتاق إلى ما وعد الله تعالى لأوليائه من الثواب والكرامة والفضل والرضوان، ومنهم من اشتاق إلى محبوبه من شدة محبته وتبرمه ببقائه شوقًا إلى لقائه، ومنهم من شاهد في قرب سيده أنه حاضر لا يغيب، فتنعم قلبه وتلذذ بذكره وقربه، وقال: إنما يشتاق إلى غائب وهو حاضر لا يغيب، فذهب بالشوق عن رؤية الشوق فهو مشتاق بلا شوق[1].

١ – الطوسي، أبو نصر عبد الله السَّراج، اللمع، ص (٦٤).

## المبحث الثاني: في مقامات الإحسان فإن لم تكن تراه فإنه يراك

وهنا يتجلى الإحسان في عدة مقامات، نذكرها في خمسة مطالب.

### المطلب الأول: مقام المراقبة

والمراقبة هي أول منازل (فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، وتعني: "دوامَ علمِ العبد المحسن، وتيقُّنَه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه، فاستدامته لهذا العلم واليقين هي المراقبة، وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه رقيب عليه، ناظر إليه، سامع لقوله، وهو مطَّلع على عمله كلَّ وقت وكلَّ لحظة وكلَّ نَفَس وكلَّ طرفة عين"[1]، قال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ﴾ (البقرة/٢٣٥)، وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴾ (الأحزاب/٥٢)، وقال: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ (غافر/١٩)، وقال: ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ (العلق/١٤)، وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ (الزخرف/٨٠).

فالمراقبة هي خلوص سرِّ العبد المحسن وعلانيته لله عزَّ وجلَّ، وتعبُّده وهو مستحضر لأسماء الكشف والإحاطة والإدراك (العليم، الرقيب، الحفيظ، الشهيد، المحيط، الحسيب، السميع، البصير)، فبتعقُّله لهذه الأسماء، والتعبد بمقتضاها، تحصل له المراقبة، وعلامتها: إيثار ما أنزل الله، وتعظيم ما عظَّم الله، وتصغير ما صغَّر الله، وذلك بمراعاة القلب لملاحظة الحق مع كل خطرة وخطوة، وأما ثمرتها: فالمراقبة سبب لحفظ البواطن والظواهر، فمن راقب الله تعالى في سرِّه، حفظه في سره وعلانيته[2]، قال عبد الله الأنصاري الهروي: "المراقبة على ثلاث درجات: الدرجة

---

١ – ابن قيم الجوزية، مدراج السالكين، ص (٣١٢-٣١٣).

٢ – المصدر السابق.

الأولى: مراقبة الحق تعالى في السير إليه على الدوام، والثانية: مراقبة نظر الحق تعالى إليك، والثالثة: مراقبة الأزل بمطالعة عين السبق استقبالا لعلم التوحيد"[1]، أي: مراقبة قدم الله تعالى وأنه في وجوده أزلي مطلق لا أوَّل له، وما سواه فوجوده حادث مضاف ومسبوق بعدم، فيطالع العبد المحسن سبق الحق سبحانه لكل ما سواه، إذ هو الأول الذي ليس قبله شيء، فمتى طالع عين هذا السبق، شهد معنى الأزل، وعرف حقيقته، وأدرك انفراد الحق بأزليته وحده، وأنه كان ولم يكن شيء غيره البتة، وكل ما سواه فكائن بعد عدم، فإذا عُدمت الكائنات من مطالعة هذا العبد، كما كانت معدومة في الأزل، طالع عندها عين سبق وجود الله تعالى في القِدم، وفني بمطالعة ومراقبة من لم يزل، عن مطالعة ومراقبة من لم يكن، فبدا له حينئذ علم التوحيد، واستقبله[2]، وتحقق به، موحدا نظره إلى الواحد الأزلي القديم، دون غيره، بل يفنى به عن كل ما سواه، يجهد لإدراك طاعته، ويبتعد ويهجر كل ما يُسخطه، يستحيي ويخاف أن يعصي الله تعالى وهو يعيش على مائدته، ويتحرك تحت ظل سمعه وبصره وعلمه وإحاطته.

فإن كان الإحسان في مقام المشاهدة، ضمن مقامات (أن تعبد الله كأنك تراه)، هو مشاهدة قلب العبد المحسن بعين البصيرة، عينَ وجود الذات الإلهية، من خلال شهوده بعينه الباصرة تجليات صفات الله وأسمائه الحسنى في عوالم الخلق، فإن الإحسان في مقام المراقبة ضمن مقامات (فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، هو غيبة لقلب العبد المحسن عن عوالم الخلق، وغيبة عن كل ما سوى الله تعالى، وذلك بتوحيد مطالعته نظر الحق

١ – الهروي، عبد الله الأنصاري، منازل السائرين، ص (٣٨-٣٩).
٢ – ابن قيم الجوزية، مدراج السالكين، ص (٣١٦).

سبحانه إليه، ومراقبته إياه، في سرِّه وعلانيته، فيمتلئ قلبه بتعظيم ربه تعالى، ويذهل عن كل ما سواه، حيث شغلت مراقبة الله تعالى كل جوانب قلبه، حتى فني فيها عن كل ما سواها، يقول ابن قيِّم الجوزية في مدارج السالكين: "المراقبة: دوام حضور القلب مع الله عزَّ وجلَّ، وامتلائه من عظمته، بحيث يذهله ذلك عن تعظيم غيره وعن الالتفات إليه، فلا ينسى هذا التعظيم عند حضور قلبه مع الله تعالى، بل يستصحبه دائما،... وهي تتضمن خمسة أمور: سير إلى الله تعالى، واستدامة هذا السير، وحضور القلب معه، وتعظيمه، والذهول بعظمته عن غيره"[١]، فبمداومة العبد المحسن على هذا السلوك في صلته بالله تعالى وعبادته إياه، يتملكه الخوف من الله، وتستولي عليه الرهبة منه، وتسيطر عليه الخشية، حتى تلجمه إلجاما.

**المطلب الثاني: مقام الخوف والخشية**

قال الله تعالى في حق الساجدين المخبتين الخاضعين له من خلقه: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (النحل/ ٥٠)، حيث إنهم باستجابتهم لأمر ربهم مدفوعون بخشيته وتعظيمه وإجلاله والخوف منه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ (المؤمنون/٥٧)، قال الطبري: "والمعنى: إن الذين هم من خشيتهم وخوفهم من عذاب الله مشفقون، فهم من خشيتهم من ذلك دائبون في طاعته، جادُّون في طلب مرضاته"[٢]، وقال ابن كثير: "أي: هم مع إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح، مشفقون من الله خائفون منه، وجلون من مكره بهم، كما قال الحسن البصري: إن المؤمن

١ – المصدر السابق، ص (٣١٣).

٢ – الطبري، ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تفسير الطبري، سورة المؤمنون، الآية (٥٧).

جمع إحسانا وشفقة، وإن المنافق جمع إساءة وأمنا"[1]، وهذا المقام يجعل العبد المحسن في استحضار دائم لحقيقة الموت، ولحقيقة مفارقته هذه الدنيا، إلى جانب قصر الأمل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: "أكثرو ذكر هادم اللذات" يعني: الموت[2]، وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، في قصر الأمل، قال: أخذ رسول الله ﷺ بمَنْكَبيَّ، فقال: "كُنْ في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل"، وكان ابن عمر يقول: "إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك"[3]، ومن حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "مالي وللدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب استظل في ظل شجرة ثم راح وتركها"[4].

ثم إن استحضار العباد المحسنين الدائم لحقيقة الموت، يجعلهم في استحضار دائم لحقيقة اليوم الآخر، والحشر بين يدي الله للسؤال والحساب بعد البعث، ومآلات الثواب والعقاب بعد الحساب، قال تعالى:﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ (النور/٣٧)، حيث تجد هؤلاء المؤمنين المحسنين، مدفوعين إلى طاعة ربهم، حريصين على نيل مرضاته، لخوفهم من نتائج حساب ذاك اليوم الذي تشخص فيه الأبصار، وتخشع فيه القلوب من الخشية، قال تعالى:﴿ وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ (النور/٣٩)، وقال

١ – ابن كثير، أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، تفسير ابن كثير، سورة المؤمنون، الآية (٥٧).

٢ – الترمذي، السنن، حديث رقم: (٢٣٠٧)، وابن ماجة، السنن، حديث رقم: (٤٢٥٨).

٣ – البخاري، الصحيح، حديث رقم: (٦٤١٦).

٤ – الترمذي، السنن، حديث رقم: (٢٣٧٧)، وابن ماجة، السنن، حديث رقم: (٤١٠٩).

سبحانه: "والذين هم من عذاب ربهم مشفقون﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾ (المعارج/٢٨)، قال الطبري: "والذين هم في الدنيا من عذاب ربهم وجلون أن يعذبهم في الآخرة، فهم من خشية ذلك لا يضيعون له فرضا، ولا يتعدُّون له حدّاً، فعذاب ربهم غير مأمون أن ينال من عصاه وخالف أمره"[١].

وحتى مع استجابة المحسنين لأوامر ربهم، ونهوضهم بطاعته، خوفا وخشية وتعظيما، فإن الخوف يبقى مسيطرا عليهم، يأخذ بألباب قلوبهم، ويؤرِّق نفوسهم، ويوحش صدورهم، حيث إنهم في خوف ووجل أن لا تُقبل منهم أعمالهم، ليس لسوء ظن منهم بالله تعالى، وإنما لسوء ظنهم بأنفسهم، فلعلَّ الرياء والسمعة خالطت هذه الأعمال، والحال أن الله سبحانه لا يقبل منها إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم، قال تعالى في شأن هؤلاء المحسنين الفانين عن أنفسهم بمراقبتهم وخشيتهم وخوفهم من ربهم:﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾(المؤمنون/٦٠)، قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية، أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟، قال: "لا، يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلُّون ويتصدقون، وهم يخافون أن لا تُقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون"[٢]، فخوفهم ووجلهم كان سبباً ليسارعوا في خيراتهم، قال الحسن البصري (١١٠هـ): "المعنى: يعملون ما عملوا من أعمال البِر، وهم يخافون ألا ينجيهم ذلك من عذاب ربهم"[٣].

---

١ – الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تفسير الطبري، سورة المعارج، الآيتان (٢٧-٢٨).

٢ – الترمذي، السنن، حديث رقم: (٣١٧٥).

٣ – الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تفسير الطبري، سورة المؤمنون، الآية (٦٠).

كما أن لزوم العبد المحسن مقام الخوف والخشية، واستحضاره الدائم حقيقتي الموت والحساب بعد الموت، يدفعه إلى لزوم محاسبته لنفسه، وتأديبه إياها، في مسلك قال فيه النبي ﷺ: "الكَيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني"، قال الترمذي: معنى دان نفسه: حاسبها[1]، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول للناس: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، فإنه أيسر لحسابكم – يوم القيامة – وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتجهَّزوا للعرض الأكبر،﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [2] (الحاقة/١٨)، وقال الحسن البصري: "إن المؤمن قوَّام على نفسه، يحاسب نفسه لله عزَّ وجلَّ، وإنما خفَّ الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شقَّ الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة"[3]، ثم إن الحق سبحانه وعد هؤلاء المحسنين المخبتين الخائفين الوجلين من خشيتهم لله وتعظيهم إياه، المحاسبين لأنفسهم، المقومين لها، نعيمه المقيم، ورضوانه الخالد، في جناته، قال تعالى:﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ (الرحمن/٤٦).

ومن خيرة من عبد الله تعالى في هذا المقام من الصحابة رضوان الله عليه، أبو بكر الصديق رضي الله عنه، إذ لمَّا اشتد برسول الله ﷺ وجعُهُ من مرضه الذي توفي فيه، قيل له في الصلاة – أن يصلي بالناس إماماً لهم – فقال: "مروا أبا بكر أن يصلي بالناس"، فقالت عائشة رضي الله عنها: إن أبا بكر رجل رقيق، إذا قرأ غلبه البكاء – من الخشية – قال:

---

١ – الترمذي، السنن، من حديث شداد بن أوْس رضي الله عنه، حديث رقم: (٢٤٥٩).

٢ – ابن المبارك، عبد الله، كتاب الزهد والرقائق، باب الهرب من الخطايا، أثر رقم: (٣٠٦)، ص (١٢٢).

٣ – المصدر السابق، أثر رقم: (٣٠٧)، ص (١٢٢-١٢٣).

"مروه فيصلي"، قالت عائشة: فعاودتهُ، فقال: "مروه فيصلي، إنكن صواحب يوسف"[١]، يقول أحمد بن عجيبة: "وإن أردت أن ينفتح لك باب الخشية والخوف من الله تعالى، فاشهد ما منك إليه من الإساءة، والتقصير في العبادة، أو من موافقة الشهوة، والاسترسال مع الغفلة، فإنك إن شهدت ذلك دامت خشيتك وحُزنك، وقوي خوفك"[٢]، وقال عبد الله الأنصاري الهروي: "الخوف هو الانخلاع عن طمأنينة الأمن بمطالعة الخبر – أخبار الوعيد – وهو درجات: الخوف من العقوبة، ويتولد من تصديق الوعيد، وذكر الجناية، ومراقبة العاقبة، والخوف من المكر"[٣]، على معنى قوله تعالى:﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (الأعراف/٩٩).

١ – البخاري، الصحيح، حديث رقم: (٦٨٢).
٢ – ابن عجيبة، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، ص (٣٤٦).
٣ – الهروي، عبد الله الأنصاري، منازل السائرين، ص (٢٦-٢٧).

## المطلب الثالث: مقام القبض

ثم لزوم العبد المحسن مقام الخوف والخشية، يأخذ به إلى مقام القبض، إذ الخوف كما في اصطلاح العارفين، هو "توقع العبد المحسن العقوبة على مجاري الأنفاس"[1]، يقول ابن قيم الجوزية في مدارج السالكين: "فالخوف حركة وفرار للخائف مما يخاف منه – وهو في مقامات الإحسان فرار من الذنوب الموجبة للعقوبة – والخشية انجماع وانقباض وسكون، فإن الذي يرى العدو أو السيل ونحو ذلك، له حالتان، إحداهما: حركة للهرب منه، وهي حالة الخوف، والثانية: سكونه وقراره في مكان لا يصل إليه فيه، وهي الخشية"[2]، فالعبد المحسن القائم في مقام الخوف يفرُّ من الذنوب والآثام الموجبة للعقوبة والحرمان إلى الله تعالى مخافة وعيده ونذيره، قال تعالى:﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ **(الذاريات/ ٥٠)**، وفي مقام الخشية فإنه يلزم باب ربه عزَّ وجلَّ ولا يحيد عنه، ويتقلل من كل ما سواه، وهو سكون للنفس وانقباض لها وخشية من أهوال ما يراه بعين قلبه ويستحضره، من أحوال الموت وسكراته، والقبر وظلمته، والقيامة وأهوالها، والحشر وكرباته، والحساب ودقَّته، فيغتم لذلك ولا يَنْعم، ويملأه البكاء حتى يكاد قلبه يتفطر ويحيد من مكانه، ففي الحديث، أن الصحابة رضوان الله عليهم قالوا: ما لنا نراك لا تنعم يا رسول الله، فقال: "كيف أنعم وصاحب القَرْن قد التقم القَرْن، واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ"، فكأن ذلك ثقل على أصحاب رسول الله ﷺ، فقال لهم: "قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل"[3]، أي: يَنفخ في الصور، الذي معه تقوم القيامة وتحدث الزلزلة الكبرى، قال تعالى:﴿ وَنُفِخَ فِي

---

١ – ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ص (٢٧١).

٢ – المصدر السابق

٣ – الترمذي، السنن، من حديث أبي سعيد الخدري، حديث رقم: (٢٤٣١).

ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ﴾ (الزمر/٦٨)، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝٢ ﴾ (الحج/١-٢).

وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة، فقال: "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا"، فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم، ولهم خَنين[١]، قال ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ): "والمراد بالعلم هنا ما يتعلق بعظمة الله، وانتقامه ممَّن يعصيه، والأهوال التي تقع عند النزع، والموت، وفي القبر، ويوم القيامة، ومناسبة كثرة البكاء، وقلة الضحك في هذا المقام واضحة، والمراد به التخويف"[٢]، وقال أبو زكريا النووي (٦٧٦هـ): "والمعنى: لو رأيتم ما رأيتُ، وعلمتم ما علمت مما رأيته اليوم وقبل اليوم لأشفقتم إشفاقا بليغا، ولقلَّ ضحككم وكثر بكاؤكم"[٣]، وقال أبو العباس القرطبي (٦٥٦هـ): "وقوله ﷺ: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، يعني: ما يعلم هو من أمور الآخرة وشدة أهوالها، ومما أعد في النار من عذابها وأنكالها، ومما أعد في الجنة من نعيمها وثوابها، فإنه ﷺ قد كان رأى كل ذلك مشاهدة وتحقيقا، ولذلك كان ﷺ متواصل الأحزان، قليل الضحك، جُلُّه التبسم"[٤]، ولأجل ذلك كان العلماء في هذا المقام أشد خشية لله ممن سواهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ

١ – البخاري، الصحيح، حديث رقم: (٤٦٢١)، ومسلم، الصحيح، حديث رقم: (٤٢٦).
٢ – العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، جـ ١١، ص (٣١٩).
٣ – النووي، أبو زكريا يحيى، شرح صحيح مسلم، جـ ١٥، ص (١١٢).
٤ – القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر، المُفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم، جـ٢، ص (٥٥٧).

﴿ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ (فاطر/٢٨)، وإمامهم ومقدمهم في ذلك رسول الله ﷺ، فقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أنه كان يقول: "إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا"[١].

## المطلب الرابع: مقام الهيبة والإجلال

ثم إن لزوم العبد المحسن باب الحق سبحانه، والانقطاع عمن سواه، يورثه مقام الهيبة والإجلال، وهو أقصى درجة يشار إليها في غاية الخوف والخشية من الله تعالى، فالمحسنون من أهل الوصول إلى الله والقُرب منه، ليس خوفهم خوف وحشة كخوف المسيئين المنقطعين، لأن الله عزَّ وجلَّ معهم بصفة الإقبال عليهم، والمحبة لهم، وإنما خوفهم وخشيتهم، خوف وخشية هيبة وإجلال، لعلمهم به، ومعرفتهم بتجليات صفات وأسماء جلاله، فكانت لذلك هيبته وإجلاله في قلوبهم أعظم، وأكثر ما تكون الهيبة غامرة لقلوبهم مع الإجلال أوقات المناجاة لله، والتضرع له، والانكسار على بابه، وهو وقت تملق العبد لربه، وتضرعه بين يديه، واستعطافه، والثناء عليه، وتسبيحه، وتعظيمه، بأسمائه وصفاته القهرية﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ ﴾ (الأنعام/١٨)، وهذه المناجاة توجب كشف الغطاء بين القلب وبين الرب عزَّ وجلَّ، وكشف حجاب رعونات الأغيار، الحائلة بين قلب العبد المحسن وبين مخاطبته للرب عزَّ وجلَّ مخاطبة المحب الفاني في محبوبه، المنقطع به عن كل ما سواه، مخاطبة مقرونة بهيبة الوقوف والإجلال لمقام الربوبية، ومصحوبة بأدب العبودية للرب جلَّ وعزَّ، وممحوقة بصدمة عزة الربوبية، وعزة القهر والسلطان، حتى يكاد استيلاء الهيبة والإجلال على هذا العبد المحسن تفصمه وتمحق أثره، إذ لا يقوم لعزة الربوبية شيء، وإنما أفضت

١ – البخاري، الصحيح، حديث رقم: (٢٠).

محبة الله تعالى في مقام الخوف والخشية منه إلى فناء العبد المحسن عن نفسه، وعن كل ما سوى ربه جلَّ وعزَّ، لأنها مصحوبة بالهيبة والإجلال والخضوع لسلطان القهار، وإلا فمحبة الله تعالى متى لم تكن مصحوبة بالهيبة والإجلال، وإنما كانت مصحوبة بمطالعة مظاهر الامتنان في النفس والآلاء والإنعام، فإنها تفضي بالعبد المحسن عندها لمقامات الانبساط والأنس واللذة بالله تعالى وشهود عطائه وكرمه[1].

ويُذكر في فناء المحسنين بالله تعالى عن كل ما سواه، قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أويس القرني، قَالَ عمر: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يقول: "يَأْتِي علَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ القرني مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُو بِها بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّه لأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ"، فلقيه عمر، فقال: اسْتَغْفِرْ لي، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةَ، قَالَ: أَلا أَكْتُبُ لَكَ إِلى عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ في غَبْراءِ النَّاسِ أَحبُّ إِلَيَّ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ العَامِ المُقبل حجَّ رجلٌ من أشرافهم من القرنيين، فوافى عُمَرَ، فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ، فَقَالَ: تَرَكْتُهُ رَثَّ البيت، قليل المتاع، فذكر له عمر من أمره ما سمعه من رسول الله ﷺ، ثم قال له: فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَل، فَأتَى الرجل أويساً فَقَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ أويس: أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بسَفَرٍ صَالِحٍ، فَاسْتَغْفِرْ لي، ثم قَالَ: لَقِيتَ عُمَرَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ، فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ[2]. يعني: غادر الكوفة متخفيا عن أعين الناس.

١ – انظر: ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ص (٢٧٣–٢٧٤) (بتصرف).
٢ – مسلم، الصحيح، حديث رقم: (٢٥٤٢).

## المطلب الخامس: مقام الفناء

وما يزال مقام الهيبة وإجلال الحق سبحانه يستولي على العبد المحسن في سيره إلى الله تعالى، حتى يأخذه إلى مقام الفناء، ومعناه أن هذا العبد الفاني لا يرى شيئًا إلا ويرى الله قبله، ولا يرى شيئًا إلا ويرى الله بعده، ولا يرى شيئًا إلا ويرى الله معه، فهو لا يحس بما حوله، ولا يحس بنفسه، فقد فني عن كل ما سوى الله تعالى.

يقول الشريف الجرجاني (٨١٦هـ): "الفناء فناءان: أحدهما ذوقي، والآخر خُلقي، فالذوقي هو عدم إحساس العبد الفاني بعالم الملك والملكوت، بالاستغراق في عظمة الباري ومشاهدة الحق، والخُلقي هو سقوط أوصاف العبد الفاني المذمومة، واستبدالها بالأوصاف المحمودة"، ويقول أبو القاسم الجنيد (٢٩٨هـ): "الفناء: هو دخول صفات المحبوب – وهو الله تعالى – على البدل من صفات المحب – وهو العبد الفاني – أي: التخلق بأخلاق الله وصفاته ليكون العبد الفاني ربانيًّا"[١].

فالعبد المحسن إذا تحقق بأسماء جلال الحق سبحانه، ثم تعلق بها، فخاف الله وخشيه، وهابه وأجلَّه، اضمحلت وانقبضت ذاته، وذهبت صفاته، وفني في تجليات صفات ربه سبحانه، ففني في محبوبه، وتخلص من كل السوى، فإذا ترقى إلى هذا المقام، رأى أن الأشياء كلها فيض وجوده تعالى، فيتوحد عند ذلك شهوده، ويرى في كل شيء حوله وجود الله، وأنه من الله تعالى وإليه، فيفنى في هذا الشهود وينقطع عن كل ما سواه، ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ (الأنعام/١٦٤)، ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (الأنعام/١٤)، ﴿ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ (الأنعام/١٤).

---

١ – الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، ص (١١٣).

فالفناء هو درجة كمالٍ يبلغها العارفون، الذين انتهى بهم الطلب إلى الكشف القلبي، بنور البصيرة، فرأوا كلَّ مرئيٍّ، وسمعوا كلَّ مسموعٍ، وأدركوا كلَّ أسرار القلب، وأعرضوا عن كلِّ شيءٍ، وفنوا في مقصدهم، وفنيت في هذا المقصد كلُّ مقاصدهم[١]، يقول أبو حامد الغزالي (٥٠٥هـ): "ومرتبة الفناء ألا يرى العبد في الوجود إلا واحدًا، وهي مشاهدة الصديقين، وهي الفناء في التوحيد، لأنه من حيث لا يرى إلا واحدًا، فلا يرى نفسه أيضًا، وإذا لم يرَ نفسه لكونه مستغرقًا بالتوحيد، كان فانيًا عن نفسه في توحيده، بمعنى أنه فنى عن رؤية نفسه وعن رؤية الخلق، وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد"[٢].

ومن عجيب ما ورد في تحقيق هذا المقام ما تعاقب على ذكره علماء الحنابلة – على خلاف ما يُشاع عنهم من إنكارهم لمقامات السير إلى الله – وذلك من الفقيه الحنبلي أبي إسماعيل عبد الله الأنصاري الهروي في القرن الخامس الهجري، إلى الفقه الحنبلي ابن قيم الجوزية، مرورا بشيخه ابن تيمية في القرن الثامن الهجري، يقول ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (٧٢٨هـ): "وقد يعرض لبعض العارفين في مقام الفناء والجمع والاصطلام والسكر، بقوة استيلاء الوجد والذكر عليه، من الحال ما يغيب فيه عن نفسه وغيره، فيغيب بمعبوده عن عبادته، وبمعروفه عن معرفته، وبمذكوره عن ذكره، وبموجوده عن وجوده، ومثل هذا قد يعرض لبعض المحبين لبعض المخلوقين، كما يذكرون أن رجلًا كان يحب آخر، فألقى المحبوب نفسه في اليم، فألقى المحبُّ نفسه خلفه، فقال له: أنا وقعت فما الذي أوقعك؟ فقال:

١ – الهجويري، أبو الحسن علي بن عثمان، كشف فالمحجوب، ص (١٣٦).
٢ – الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، جـ٤، ص (٢١٢–٢١٣).

غبت بك عني، فظننت أنك أني"[١]، ويقول: "فهذه الحال تَعتري كثيرًا من أهل المحبة والإرادة في جانب الحق، فإنه يغيب بمحبوبه عن حبه، وعن نفسه، وبموجوده عن وجوده، فلا يشعر حينئذٍ بالتمييز ولا بوجوده، فقد يقول في هذه الحال: أنا الحق، أو: سبحاني، أو: ما في الجبة إلا الله، ونحو ذلك، وهو سكران بوجد المحبة"[٢].

وأما تلميذه ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) فيقول في منزلة الفناء: "الفناء الذي يشير إليه القوم، ويعملون عليه، أن تذهب المحدثات في شهود العبد، وتغيب في أفق العدم، كما كانت قبل أن توجد، ويبقى الحق تعالى كما لم يزل، ثم تغيب صورة المشاهد ورسمه أيضًا، فلا يبقى له صورةٌ ولا رسمٌ، ثم يغيب شهوده أيضًا فلا يبقى له شهودٌ، ويصير الحق هو الذي يشاهد نفسه بنفسه، كما كان الأمر قبل إيجاد المكونات، وحقيقته أن يفنى من لم يكن، ويبقى من لم يزل"[٣].

١ – ابن تيمية، أحمد عبد الحليم، مجموعة رسائل ابن تيمية، ص (٤٤-٤٦).
٢ – المصدر السابق، ص (٦٤).
٣ – ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ص (٥٨٦).

## المبحث الثالث: في الجمع بين مقامات الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك

ويتجلى الجمع بين مقامات الإحسان في خمسة مطالب.

### المطلب الأول: الجمع بين مقامي المشاهدة والمراقبة

والجمع بين هذين المقامين يتطلب مجاهدة قلبية ورياضة روحية من العبد المحسن، حتى يوازن بينهما ويتجنب سيطرة أحدهما عليه دون الآخر، فهو في مقام المشاهدة يطالع تجليات أسماء جمال الله تعالى وتجليات أسماء إحسانه، فيقبل على الله سبحانه بالمحبة والرضا، ويأنس لسعة إنعامه، وفي مقام المراقبة يطالع تجليات أسماء كمال الله تعالى وتجليات أسماء جلاله، حيث لا يخفى على الله من خلقه شيء، وحيث تقابل أسماء الحق سبحانه بين العطاء والمنع، والرفع والخفض، والبسط والقبض، والإنعام والحرمان، والحفظ والبطش، والتأييد والقهر، وهكذا ...، فيلزم باب العبودية والخضوع والانكسار أمام جبروت عظمة كبرياء الله تعالى وعلو غلبته وقهره، وينال بهذا الجمع استقامة النفس، وعلو الهمة، في الإقبال على الله تعالى بالطاعة والعبادة والذكر والتسبيح، وفي الحذر الشديد من مخالفة أمره ومعصيته وانتهاك حرماته.

قال تعالى في شأن عباده المحسنين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء/ ٩٠)، قال الطبري: "والمعنى: أنهم كانوا يعبدونه رغبة منهم فيما يرجون منه من رحمته وفضله، ورهبة منهم من عذابه وعقابه، وذلك بتركهم عبادته وركوبهم معصيته"[١].

١ – الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، سورة الأنبياء، الآية (٩٠).

**المطلب الثاني: الجمع بين مقامي الرجاء والخوف**

وإن أخطر ما يمكن أن يصيب العبد المحسن من أمراض في لزومه مقام الرجاء هو وقوعه في حالة من التمني والطمع بما عند الله من الرحمة والمغفرة، فيتساهل ويتوانى عن النهوض بما لله عليه من الشكر والإقبال عليه بالطاعات والمبالغة فيها، كما أن أخطر ما يمكن أن يصيب العبد المحسن من أمراض في لزومه مقام الخوف هو وقوعه في حالة من اليأس وسوء الظن بالله تعالى، فينكفئ عن العمل ويمرض قلبه، وتحبط نفسه، حتى يتصيده الشيطان ويقع في حبائله، والأمر في السير إلى الله تعالى وسط بين هذا وذلك، كما في الحديث: "لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة، ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة، ما قنط من جنته أحد"[1]، وقال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ (الإسراء/٥٧)، قال سهل بن عبد الله التستري (٢٨٣هـ): "الرجاء والخوف زمانان على الإنسان، فإذا استويا استقامت أحواله، وإن رجح أحدهما بطل الآخر"[2].

وفي مدارج السالكين: "القلب في سيره إلى الله عزَّ وجلَّ بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطير جيد الطيران، ومتى قُطع الرأس مات الطائر، ومتى فُقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر، ولكن السلف استحبوا أن يقوى في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند استقبال الآخرة يقوى جناح الرجاء

١ – مسلم، الصحيح، من حديث أبي هريرة، حديث رقم: (٢٧٥٥).

٢ – القرطبي، أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، سورة الإسراء، الآية (٥٧).

على جناح الخوف، وقال بعضهم: ينبغي للقلب أن يكون الغالب عليه الخوف، فإن غلب عليه الرجاء فسد، لكن أكمل الأحوال هو اعتدال الرجاء والخوف، وغلبة الحب، فالمحبة هي المركب، والرجاء حادٍ، والخوف سائق، والله تعالى هو الموصل للسائر إليه بمنه وكرمه"[١]، وقال أحمد بن عجيبة: "الناس في الخوف والرجاء على ثلاثة أقسام: أهل البداية ينبغي لهم تغليب جانب الخوف، وأهل الوسط ينبغي لهم أن يعتدل خوفهم ورجاؤهم، وأهل النهاية يغلبون جانب الرجاء"[٢].

**المطلب الثالث: الجمع بين مقامي البسط والقبض**

وذلك أنه ينبغي للعبد المحسن في انبساطه ورضاه عن ربه بكل وجميع تنزُّلات أمره، أن لا ينسى استحضار موته، ووقوفه بين يدي ربه، وبعثه وحشره، وسؤاله ومحاسبته يوم القيامة عن عمله، فيتمسك بقصر الأمل، وعدم الغرور بهذه الدنيا الفانية، ويحاسب نفسه على كل تقصير، متجنبا أسباب العقوبة وموجباتها، فتراه في هذه الموازنة منبسطا مقبوضا، يفرح في شكره لما يراه من عميم نعم الله، وواسع آلائه، ويغتم ويحزن لتقصيره في حق ربه، واتقاء حرماته، وتقصيره في عبادته حق العبادة، والحال أنه بين يدي عقبات كأداء، وسفر موحش، وحساب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فيستقيم في هذا الجمع حال هذا العبد المحسن، فقد دخل أبو القاسم الجنيد البغدادي (٢٩٨هـ) على شيخه أبي الحسن السَّرِي السَّقطي (٢٥٣هـ) فقال له ما لك أيها الشيخ مقبوضا؟ فقال دخل عليَّ شاب، فسألني ما حقيقة التوبة؟ فقلت له: أن لا تنسى ذنبك، فقال الشاب:

١ – ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ص (٢٧٤).
٢ – ابن عجيبة، إيقاظ الهمم بشرح الحكم، ص (١٤١).

بل التوبة أن تنسى ذنبك، ثم خرج عني، فقال الجنيد: الصواب ما قاله الشاب، لأني إذا كنت في حالة الجفاء – حالة القبض – ثم نقلني إلى شهود الصفا – حالة البسط – فذكر الجفاء في حال الصفا جفاء[1].

**المطلب الرابع: الجمع بين مقامي الأنس والهيبة**

ففي الجمع بين هذين المقامين، نجد العبد المحسن يأنس بقربه من ربه عزَّ وجلَّ في مقام عين اليقين، يخفق قلبه بمحبته، ويلهج لسانه بتسبيحه وذكره، في جميع أوقاته، ويحظى بتأييده في حركاته وسكناته، وفي جميع جوارحه، وينال من فيوضات علمه ما يورثه الله به علم ما لا يعلمه، ويلهمه السداد والتوفيق في رأيه، ثم إلى جانب هذا الأنس الواسع بالله تعالى، والنفس المطمئنة الواثقة به سبحانه، نجد هذا العبد المحسن خاضعا لله منكسرا على بابه، في مقام الهيبة والتعظيم والإجلال له، يدين له بالعبودية، فهو الرب المتعال القهار، من لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون، فيرقى هذا العبد بهذا الجمع إلى مقام الصدِّقين، حيث الانغماس في مقام حق اليقين، في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

**المطلب الخامس: الجمع بين مقامي اللذة والفناء**

فمتى علمنا أن سبيل وصول السائر إلى الله تعالى في مقام اللذة، أو في مقام الفناء، هو انغماسه في محبة ربه عز وجلَّ، وانقطاعه عن نفسه ومحيطه، وشخوصه بقلبه وعين بصيرته إلى ربه سبحانه، واستيلاء هذه المحبة عليه، وهيامه بها.

---

١ – المصدر السابق، ص (١٤٢-١٤٣).

فإن كان انشغاله بهذه المحبة واستبصاره بها قائما على مطالعة منن الله تعالى وعطاياه، وعلى تعلُّقه بأسماء جمال وإحسان الله تعالى وصفاته، ومن ثم تخَلُّقه بها، ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ ﴾ (النحل/١٨)، ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ﴾ (النحل/٥٣)، ﴿ قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ ﴾ (الأنبياء/٤٢)، قاده هذا التعلق والاستبصار إلى مقام الأنس والطمأنينة بالله تعالى، الذي يقوده إلى مقام اللذة به سبحانه وحده دون سواه، وهو مقام توحيد خالص لشهود نعم الله تعالى ومننه، ومقام فرح لجميل وواسع عطاياه سبحانه، فيرى في هذا المقام أن ما في يده من النعم أقرب لما هو في يد الله تعالى، فيجده وحاله أنه أسرع بالخير من الريح المرسلة، ويعطي عطاء من لا يخشى الفقر، كحال نبينا المصطفى ﷺ[١]، وكيف يخشى ذلك وهو آنسٌ بربه تعالى متلذذٌ بكرم عطاياه ومننه.

وإن كان انشغاله بمحبة الله تعالى واستبصاره بها قائما على مطالعة مقام ربوبية الله تعالى، وعلى تعلُّقه بأسماء جلاله وعظمته وكبريائه، فإن هذا التعلق يقوده إلى مقام الهيبة والإجلال والانكسار بين يدي الله، المصحوب بالخوف والخشية منه سبحانه وحده دون سواه، وهو مقام توحيد خالص لشهود تجليات جلال الحق تعالى، ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ ﴾

---

١ – ففي حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: " كانَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ أجْوَدَ النَّاسِ، وكانَ أجوَدُ ما يَكونُ في رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وكانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ في كُلِّ لَيْلَةٍ مِن رَمَضَانَ، فيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أجْوَدُ بالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ". رواه البخاري في صحيحه، برقم (٣٢٢٠)، ومسلم في صحيحه، برقم (٢٣٠٨).

* ومن حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبيَّ ﷺ غَنَمًا بيْنَ جَبَلَيْنِ، فأعْطَاهُ إيَّاهُ، فأتَى قَوْمَهُ فَقالَ: أيْ قَوْمِ، أسْلِمُوا؛ فَوَاللَّهِ إنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً ما يَخَافُ الفَقْرَ. رواه مسلم في صحيحه، برقم (٢٣١٢).

(الأنعـــام/١٨)، ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ (فاطر/٤٤)، ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ ﴾ (يوسف/٢١)، فلم يعد بذلك يرى في قلبه وفي عين بصيرته إلا الله سبحانه وتعالى، فيفنى فيه، ويسلم نفسه إليه، ولا يرجو من ذلك ولا يبتغي سوى القرب منه ونيل قبوله ورضوانه، والتجاوز عنه.

وكما ذكر الإمام ابن قيم الجوزية في مدارج السالكين: وإنما أفضت محبة الله تعالى في مقام الخوف والخشية منه إلى فناء العبد المحسن عن نفسه، وعن كل ما سوى ربه جلَّ وعزَّ، لأنها مصحوبة بالهيبة والإجلال والخضوع لسلطان القهار، وإلا فمحبة الله تعالى متى كانت مصحوبة بمطالعة مظاهر الامتنان في النفس والآلاء والإنعام، فإنها تفضي بالعبد المحسن عندها لمقامات الانبساط والأنس واللذة بالله تعالى وشهود عطائه وكرمه[١].

ولذلك كله كان الجمع بين مقامي اللذة والفناء أكثر استحضارا لحقيقة الإيمان في قلب العبد المحسن، حيث يكون شاخصا بقلبه وعين بصيرته إلى عموم تجليات أسماء الله تعالى، الإحسانية منها والجمالية، وكذلك الجلالية، والجامع لها والحاكم فيها هو اسم الجلالة الأعظم (الله)، فلفظ الجلالة (الله) اسم عَلَمٍ للمولى سبحانه مستوجب لجميع أسماء وصفات الجمال والكمال والجلال والإحسان، فيجد العبد نفسه وهو مستغرق في مطالعة المنن والنِّعم، متلذذ بتوحيد شهودها، قد فني في محبة المنان المنعم، حيث ذروة مقام اللذة هو الفناء في المحبوب، فإذا ما قابل هذه المطالعة بمطالعة تجليات جلال الربوبية وعظمتها وكبريائها، وفني في

١ – انظر: ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ص (٢٧٣–٢٧٤) (بتصرف).

إجلالها والهيبة منها، زاد فناؤه فناءً، وارتقاؤه ارتقاءً، وإحسانه إحساناً، فينكر ذاته ونفسه، ويُسلم قياده لربه سبحانه، ولم يعد يرى إلا الله تعالى، ولا ينظر بقلبه وعين بصيرته إلا إليه، ولا يرجو أو يسأل أحدا سواه، ولا يلوذ إلا بحماه، فيفنى بهذا الفناء عن نفسه، فهو في الأُنس واللذة يُقبل على محبوبه غاية الإقبال، ويرجوه غاية الرجاء، وفي الهيبة والفناء يخشع لمحبوبه غاية الخشوع، ويخشاه حتى يبلغ بخشيته غاية الإشفاق،﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴾ (المؤمنون/٥٧)،﴿ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ﴿٢٨﴾ ﴾ (المعارج/٢٧-٢٨)،﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ (الأعراف/٩٩)، قال ابن كثير بشأن هؤلاء العباد المحسنين: "هم مع إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح، مشفقون من الله خائفون منه، وجلون من عذابه ومكره بهم"[١]، فبهذا الجمع يتوازن سير العبد المحسن السائر إلى الله ويستقيم في سيره إليه، فلا يطمع بأنس ولا لذة عند مطالعة المنة، ولا ييأس أو يقنط من خوف وخشية عند مطالعة تجليات الجلال والهيبة.

١ – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، سورة المؤمنون، الآية (٥٧).

## الخاتمة

**وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى النتائج الآتية:**

١- أن الإيمان الذي هو التصديق الجازم بالقلب له حقٌ وحقيقةٌ، فحقُّه أن يثبت هذا القلب على تصديقه بربه في مقام علم اليقين، وهو مقام استدلال نظري بالخَلْق على وجود الحق سبحانه، وذلك من خلال دلائل الإعجاز، وأما حقيقته فهي أن يترقى تصديق القلب في مقامي عين اليقين وحق اليقين، وهما مقامان إحسانيان فيهما يترقى قلب المؤمن المحسن من مقام الاستدلال النظري بالخَلق، إلى مقام شهود الحق سبحانه بعين القلب والبصيرة، دون شهود أحد سواه، وهو حقيقة التوحيد.

٢- أن جبريل عليه السلام حين سأل النبي ﷺ عن الإحسان بعد سؤاله إياه عن الإيمان، وسؤاله عن الإيمان بعد سؤاله إياه عن الإسلام، دلَّ ذلك على تدرج السائر في سيره إلى الله تعالى ضمن هذه المقامات الثلاثة، التي تبدأ بالأعمال الظاهرة والاستجابة لها، وهي مقام الإسلام، ثم بالأعمال الباطنة القائمة على التصديق والإيقان القلبي الخالص وهي مقام الإيمان، ثم بالمشاهدة والمراقبة القلبية ورؤية البصيرة لحقائق تجليات أسماء الحق سبحانه وصفاته، من الجمال والكمال والجلال الإحسان، وهي حقيقة الإيمان المتمثلة في مقام الإحسان.

٣- أن الرقائق ومنهجها السلوكي الذي يسير عليه العبد المحسن في سيره إلى الله تعالى هو علم له مفاهيمه وحدوده وأصوله وآدابه، قد وضعت له كتب وأبواب في مصنفات الحديث المختفة، وأفردت له مؤلفات كثيرة كتبها كبار أهل العلم والمعرفة من لدن عصر السلف إلى يومنا هذا، وأُخرجت تحت عناوين: (الزهد والورع، والرقة والبكاء، ومحاسبة النفس،

وذم الدنيا، وقصر الأمر، وخلافها ...)، كلها ترسم للسالك منهجا في الوصول إلى حضرة علام الغيوب والخشية منه ونيل قربه ورضاه.

٤- أن الرقائق لها ارتباط وثيق بإدراك السائر إلى الله تعالى مقام الإحسان، وبلوغه حقيقة الإيمان، متى أخلص في سيره وثبت فيه دون طمع ولا إرجاف.

## قائمة المصادر والمراجع


١- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، (٩)ج، ط: (١)، تحقيق: محمد زهير، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٢- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، ط: (٢)، تحقيق: كمال الحوت، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٥.

٣- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، (٦)ج، ط: (١)، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨.

٤- ابن تيمية، أحمد عبد الحليم، مجموعة الرسائل والمسائل، ط: (١)، تحقيق: محمد رشيد رضا، بيروت: لجنة التراث العربي، ت: بلا.

٥- الجرجاني، الشريف علي بن محمد، التعريفات، ط: (١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣.

٦- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (١٣)ج، ط: (١)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.

٧- أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، (٤)ج، ط: (١)، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية.

٨- أبو طالب المكي، محمد بن علي الحارثي، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، (٢)ج، ط (٢)، تحقيق: د. عاصم الكيالي، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥.

٩- الطبراني، أبو القاسم، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، (٢٥)ج، ط: (١)، تحقيق: حمدي السلفي، الرياض: دار الصميعي، ١٩٩٤.

١٠- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، (٢٤)ج، ط: (١)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠.

١١- الطوسي، أبو نصر عبد الله السَّراج، اللمع، ط: (١)، تحقيق: الدكتور عبد الحليم محمود، مصر: دار الكتب الحديثة، ١٩٦٠.

١٢- العجلوني، إسماعيل بن محمد، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، ط: (١)، القاهرة: مكتبة القدسي، ١٣٥١هـ.

١٣- ابن عجيبة، أحمد بن محمد الحسني، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، ط: (١)، القاهرة: دار المعارف، ت: بلا.

١٤- الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، (٤)ج، ط: (١)، بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٤.

١٥- القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر، المُفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم، (٧)ج، ط: (١)، تحقيق: محيي الدين مستو وآخرون، بيروت: دار ابن كثير، ١٩٩٦.

١٦- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، (٢٤)ج، ط: (١)، تحقيق: عبد الله التركي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٦.

١٧- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الدمشقي، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ط: (١)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠١٠.

١٨- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، (٣)ج، ط: (١)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ.

١٩- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، (٢)ج، ط: (١)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء الكتب العربية.

٢٠- ابن المبارك، عبد الله، كتاب الزهد والرقائق، ط: (٢)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤.
٢١- مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، (٥)ج، ط: (١)، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٢٢- النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي، ط: (٢)، تحقيق: صدقي العطار، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ٢٠٠١.
٢٣- النووي، أبو زكريا محيي الدين، رياض الصالحين، ط: (٣)، تحقيق وتخريج: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨.
٢٤- النووي، أبو زكريا محيي الدين، المنهاج شرح صحيح مسلم، (١٨)ج، ط: (٢)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ.
٢٥- الهجويري، أبو الحسن علي بن عثمان الغزنوي، كشف المحجوب، ط: (١)، ترجمة وتحقيق: إسعاد عبد الهادي قنديل، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٠.
٢٦- الهروي، عبد الله الأنصاري، منازل السائرين، ط: (١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨.

**المراجع الإلكترونية:**

٢٧- تعريف علم الرقائق، almalomat.com/210801.
٢٨- معجم المعاني الجامع، معنى الرقائق، kingmaajim.com/108706
٢٩- الجمهرة معلمة مفردات المحتوى الإسلامي، مصطلح (الرقائق)، islamic-content.com/dictionary/word/5272

## References :


1- albukhari, muhamad bin 'iismaeil, sahih albukhari, (9)ji, tu: (1), tahqiqu: muhamad zuhayr, bayrut: dar tawq alnajati, 1422hi.

2- albayhaqi, 'abu bakr 'ahmad bin alhusayni, aliaetiqad walhidayat 'iilaa sabil alrashadi, ta: (2), tahqiqu: kamal alhut, bayrut: ealam alkatub, 1985.

3- altirmidhi, muhamad bin eisaa bn surata, sunan altirmidhi, (6)ji, tu: (1), tahqiqu: bashaar eawad maeruf, bayrut: dar algharb al'iislamii, 1998.

4- aibn taymiati, 'ahmad eabd alhalim, majmueat alrasayil walmasayili, tu: (1), tahqiqu: muhamad rashid rida, bayrut: lajnat alturath alearabii, t: bla.

5- aljirjani, alsharif ealiun bin muhamad, altaerifati, tu: (1), bayrut: dar alkutub aleilmiati, 1983.

6- abn hajar aleasqalanii, 'ahmad bin eulay, fath albari sharh sahih albukhari, (13)ji, tu: (1), tahqiqu: muhamad fuaad eabd albaqi, birut: dar almaerifati, 1379hu.

7- 'abu dawud alsijistani, sulayman bin al'asheatha, sunan 'abi dawud, (4)ji, ta: (1), tahqiqu: muhyi aldiyn eabd alhamid, bayrut: almaktabat aleasriatu.

8- 'abu talib almaki, muhamad bin ealii alharithi, qut alqulub fi mueamalat almahbub wawasf tariq almurid 'iilaa maqam altawhid, (2)ji, t (2), tahqiqu: du. easim alkayali, bayrut: dar alkutub aleilmiati, 2005.

9- altabarani, 'abu alqasimi, sulayman bin 'ahmadu, almuejam alkabira, (25)ji, tu: (1), tahqiqu: hamdi alsalafi, alrayad: dar alsamiei, 1994.
10- altabri, muhamad bin jirir, jamie albayan fi tawil alqurani, (24)ji, ta: (1), tahqiqu: 'ahmad muhamad shakiri, bayrut: muasasat alrisalati, 2000.
11- altuwsi, 'abu nasr eabd alllh alssaraj, allamae, tu: (1), tahqiqu: alduktur eabd alhalim mahmud, masra: dar alkutub alhadithati, 1960.
12- aleajluni, 'iismaeil bin muhamadi, kashaf alkhafa' wamuzil al'iilbas eamaa ashtahir min al'ahadith ealaa 'alsinat alnaasi, ta: (1), alqahirati: maktabat alqudsi, 1351hi.
13- abn eajibata, 'ahmad bin muhamad alhasni, 'iiqaz alhimam fi sharh alhakmi, ta: (1), alqahirati: dar almaearifi, ta: bla.
14- alghazaliu, 'abu hamid, 'iihya' eulum aldiyn, (4)ji, tu: (1), birut: dar almaerifati, 1984.
15- alqurtabi, 'abu aleabaas 'ahmad bn eumra, almufhm lamaa 'ushakil min kitab talkhis muslinmin, (7)ji, ta: (1), tahqiqu: muhyi aldiyn mistu wakhrun, birut: dar abn kathir, 1996.
16- alqurtibi, 'abu eabd allah muhamad bin 'ahmadu, aljamie li'ahkam alquran (tafsir alqurtubii), (24)ji, ta: (1), tahqiqu: eabd allah alturki, bayrut: muasasat alrisalati, 2006.
17- abn qiam aljawziati, muhamad bin 'abi bakr aldimashqi, madarij alsaalikin bayn manazil 'iiaak

naebud wa'iiaak nastaein, ta: (1), tahqiq shueayb al'arnawuwta, bayrut: muasasat alrisalati, 2010.

18- abn kathirin, 'abu alfida' 'iismaeil bn eumara, tafsir alquran aleazimi, (3)ji, tu: (1), tahqiqu: muhamad husayn shams aldiyn, bayrut: dar alkutub aleilmiati, 1419hi.

19- abn majata, 'abu eabd allh muhamad bn yazid alqazwini, sunan abn majata, (2)ji, tu: (1), tahqiqu: muhamad fuaad eabd albaqi, birut: dar 'iihya' alkutub alearabiati.

20- abn almubaraki, eabd allahi, kitab alzuhd walraqayiqi, tu: (2), tahqiqu: habib alrahman al'aezami, bayrut: dar alkutub aleilmiati, 2004.

21- muslim bn alhajaaj alnaysaburi, sahih muslmi, (5)ji, tu: (1), tahqiqu: fuad eabd albaqi, birut: dar 'iihya' alturath alearabii.

22- alnasayiyi, 'ahmad bin shueayb, sunan alnasayiy, tu: (2), tahqiqu: sidqi aleatar, bayrut: dar alfikr liltibaeat walnashri, 2001.

23- alnawawi, 'abu zakariaa muhyi aldiyn, riad alsaalihina, ta: (3), tahqiq watakhriju: shueayb al'arnawuwta, bayrut: muasasat alrisalati, 1998.

24- alnawawi, 'abu zakariaa muhyi aldiyn, alminhaj sharh sahih muslmi, (18)j, tu: (2), bayrut: dar 'iihya' alturath alearabii, 1392hi.

25- alhajuiiri, 'abu alhasan ealiin bin euthman alghaznawii, kashf almahjuba, ta: (1), tarjamat

watahqiqu: 'iisead eabd alhadi qandil, bayrut: dar alnahdat alearabiati, 1980.

26- alharawi, eabd allah al'ansari, manazil alsaayirina, ta: (1), bayrut: dar alkutub aleilmiati, 1988.

almarajie al'iiliktiruniatu:

27- taerif eilm alraqayiqi, almalomat.com/210801.

28- muejam almaeani aljamiei, maenaa alraqayiqi, kingmaajim.com/108706

29- aljamharat muealimat mufradat almuhtawaa al'iislami, mustalah (alraqayiqi), islamic-content.com/dictionary/word/5272